مادة السير والملاحم

شرح : أبو جليبيب الحنبلي

مقال (1)

مقدمـة

الحمد لله مُعز الموحدين ، وناصر المتقين ، وجاعل سيوف المجاهدين على رقاب الكافرين والمرتدين والمنافقين ؛

الحمد لله الذي قيد المجاهدين لأمتنا ليحفظوا لها بيضة دينها من أعدائهم الصائلين ؛

الحمد الذي بيّن شرائع الدين ، وأقام الحجة على العالمين ، أما بعد :

فإنه لا يخفى على أحدٍ من المُوحدين أهمية دراسة الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، خاصة بعدما أصاب أمتنا في هذه الأيام من أحداث جسام ، وما وقع لها من نحن وابتلاءات من جراء حماقة بعض التأويلات للنصوص البينات ؛

فلا يخفى على أحد من الموحدين ما فعله المُرجئة الجهمية في زماننا من التلاعب بالأيات والأحاديث وأثار السلف الصالح ، وليّ أعناق النصوص لأجل تثبيت أركان الطواغيت ؛ والمتأمل لألاعيبهم سيبصر الحقيقة الجلية ، أن جُل اعتمادهم كان على التلاعب بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، وتأويلها على غير ما أراد الشارع ، وما بلغه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وكذا تلبيس الدين على عوام المسلمين ؛

فصرنا نرى ونسمع من يُحرم الجهاد في سبيل الله تحت دعوى أنه فتنة ، وأن الحكام - طواغيت الأمة وخونتها - لم يأذنوا بذلك ، وليس للخوارج - أي المجاهدين - رايةً ولا أميراً - زعموا - ؛ وكذلك ينفون انعقاد أي بيعة لأمير أو إمام ، طالما أنه ليس من حكامهم الطواغيت ؛

يرفضون أي بيعة لأمير أو إمام يبعث هذه الأمة من رقادها ، ويأخذ بأيديها إلى سبيل عزها ومجدها التليد ، ليقيم شريعة الله ، ويبسط سلطانه في أرضه جل وعلا ، ويدفع عادية الصليبية العالمية عن بيضة الدين ؛

فرأينا جميعاً كيف كانت جهود كهنة الطواغيت ونعال السلاطين في تربية أجيالاً مدجنةً ، لا تعرف من دينها إلا القشور ؛ وحتى القشور علموهم إياها مشوبة بلوثة إرجائية نجسة - والعياذ بالله - ؛

وللأسف قد طالت هذه اللوثة كثير من بني جلدتنا ، ومنا من أُصيب بها وتاب الله عليه منها - ولله الحمد في الأولى والأخرة - ؛

حتى قيد الله لهذه الأمة أمر رُشد ، وهيأ لها أسباب النجاة والعودة إلى سبيل عزها ومجدها ، ولكن بعد وقُوع الأمة بين المطرقة والسندان ، فزاد الله البلاء واشتد المحن وكثر التمحيص ؛ وانخدعت الصليبية الحقيرة بضعف أمتنا ، ووهن جسدها ، وكثرة الأمراض التي فتت عظامها ، ولم يعلم هؤلاء الحمقى أن الله أراد أن يصطفي رجالاً تقوم على أكتافهم عزة الأمة وسُؤْدَدها من جديد ؛

فجاءت متغرطسة كعادتها ، ولم تفقه درس أفغانستان ؛ فجيّشت جندها ، وجهزت عدتها وعتادها وأرتالها ، وقصدت هذه المرة أرض العز ، أرض الكرامة ، أرض الرجال ومصنع الأبطال ، أرض القادة ، أرض الآساد ، أرض الجهاد ، جاءت إلى أرض العراق ، إلى بغداد الخلافة خاصة ؛

جاءت بكل قُوتها في حملة صليبية جديدة ، كما صرح بذلك آنذاك بغلها المتغطرس - بوش اللعين - ؛

فقام سُوق الجهاد ، وانبرى لهم فرسان الأمة في عزة وإباء - رجال صنعتهم المحن والابتلاءات - ، انبرى فرسان الأمة ينفضون عن جسد أُمتنا دثار الإرجاء والقعود ، ويكسرون قيود الوهن ؛

قاموا كالأُسد الجائعة التي طال انتظارها وصبرها على فريستها ؛ قام الفرسان ليرفعوا عن أمتنا الوهن والضعف والذل ، انتفضوا ليبصروها بطريقها من جديد ، ويدلوها على سبيل عزها ومجدها التليد ؛

فسطروا الملاحم العظام ضد الأمريكان اللئام ؛

وبالرغم من تيقُن صناديد الكفر أن هذه الأمة أوشكت على الهلاك ، وأنها لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، وضمن لهم ذلك عملاء الداخل - طواغيت الأمة وجيوشها المرتدة - ؛

فكانت المفاجأة أن الله أحيا الجسد الذي وهن من المرض ، وبث فيه القوة وإرادة القتال ، وقام الفارس العملاق من سُباته في عزة وشموخ يدفع عن جسده الوهن والذل والهوان ؛ فقيد الله للأمة صفوة الجنود والقادة ؛

فقامت دولة العراق الإسلامية على جماجم الشهداء ، ورُويّت تُربة دولة الإسلام بدماء الشهداء جنداً وقادة - لله درهم - ؛

إلا أن كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، قاموا وانتفضوا وصرخوا ، لا لينصروا حقاً ، ولا ليدفعوا ظلماً ، ولا ليطالبوا بفكاك أسير ، ولا ليباركوا جهاد المجاهدين ؛

بل كانت قومتهم وانتفاضتهم وصرختهم لحرب المجاهدين والتنكيل بدولة الإسلام ، وإلصاق التهم والشنائع إليهم ، والتفتيش عن زلات المجاهدين للتشغيب على جهادهم ، وصرف الموحدين عن المجاهدين ؛

فلووا أعناق النصوص ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، ولبسوا على الأمة دينها ، وخانوا أمانة الميثاق المأخوذ عليهم من الله جل وعلا : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " ؛

وولوا دبرهم دين الله وصراطه المستقيم ؛ وصاروا حرباً على المجاهدين ودولة الإسلام ؛

يتذرعون في ذلك بفهم باطل محرف عن عمد ، أن هؤلاء خوارج - أخرج الله أمعاء كهنة الطواغيت - ؛

يستدلون على ذلك بنصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة بتحريف وتأويل باطل ؛

فمن باب " لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " ، سنبدأ بعون الله في الحديث عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، وسأحاول قدر جهدي واستطاعتي بعون الله جل وعلا أن أُفصل الحديث عن هذه الأبواب باستفاضة ، معذرة إلى الله جل وعلا ، والله المستعان وعليه التكلان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل!

مقال (2)

تحرير مصطلح الفتنة

قبل الحديث عن الفتن ، وتفصيلاتها ، وذكر نصوصها لابد أولاً من تحرير مصطلح الفتنة ، لأنها لفظة فضفاضة ، حمّالة ، تختلف مدلولاتها ومعانيها باختلاف السياقات التي ترد فيها ، لذلك نبدأ بتحرير مصطلح الفتنة .

تعريف الفتنة :

أولاً : الفتنة في اللغة :

قال الأزهري : جماع معنى الفتنة في كلام العرب : الابتلاء ، والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك : فتنتُ الفضة والذهب ، أذبتهما بالنار ليتميز الردي من الجيد ، ومن هذا قول الله عز وجل : " يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ " أي يحرقون بالنار . تهذيب اللغة (14 / 296)

قال ابن فارس :

" الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار " مقاييس اللغة (4 / 472)

قال ابن الأثير :

" الفتنة : الامتحان والاختبار ... وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار من المكروه ، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء " النهاية (3 / 410)

وقد لخص ابن الأعرابي معاني الفتنة بقوله : " الفتنة الاختبار ، والفتنة : المحنة ، والفتنة : المال ، والفتنة : الأولاد ، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء والفتنة الإحراق بالنار" . (لسان العرب لابن منظور) .

<u>ثانيا : معاني الفتنة في القرآن :</u>

1- الابتلاء والاختبار : كما في قوله تعالى : **" أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ " (العنكبوت:2)** ، " أي وهم لا يبتلون " (الطبري)

2- الشرك ، والكفر : كما في **قوله تعالى : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ " (البقرة : 193)** قال ابن كثير : " أي شرك " .

3- الصد عن السبيل والرد : كما في قوله تعالى :" وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ " (المائدة : 49) **قال** القرطبي : " معناه : يصدوك ويردوك " .

4- العذاب : كما في قوله تعالى : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " (النحل:110) فتنوا : أي عذبوا.

5- الوقوع في المعاصي والنفاق : كما في قوله تعالى :"وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي " (الحديد : 14) قال البغوي : " أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات " .

6- اشتباه الحق بالباطل : كما في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: 73) ،

فالمعنى : " إلا يوالى المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به (تكن فتنة في الأرض) أي شبهة في الحق والباطل ." (جامع البيان للطبري).

7- الإضلال : كما في قوله تعالى : " وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ " (المائدة : 41) ، " الفتنة هنا الإضلال " البحر المحيط لأبي حيان (4 / 262)

8- القتل والأسر : ومنه قوله تعالى : " إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " (النساء : 101) . والمراد : حمل الكفار على المؤمنين وهم في صلاتهم ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم . (الطبري) .

9- اختلاف الناس وتفرقهم : كما في قوله تعالى : " وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ " ، " أي يوقعوا الخلاف بينكم " الكشاف (2 / 277) .

10 - الجنون : كما في قوله تعالى : " بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ " ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " المجنون " .

11 - الإحراق بالنار : كما في قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ " (البروج : 10) ، أي : " إحراق المؤمنين في الأخدود " .

12 - الإعجاب بالشيء : كما في قوله تعالى : " رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (يونس : 85) ، أي : لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منا . والفتنة هي إعجاب الكفار بكفرهم . وفي الحديث : " ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء " ، أي : أخاف أن يعجبوا بهن فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها .

قال النووي : " قال أهل اللغة : أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار . قال القاضي : ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء . قال أبو زيد : فتن الرجل في أهل يفتن فتوناً إذا وقع في الفتنة وتحوّل من حال حسنة إلى سيئة . وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ؛ ضروب من فرط محبته لهم وشحه عليهم وشغله بهم عن كثير من الخير ، كما قال تعالى : " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ " ، أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسؤول عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا ، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى : **"إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ"** " شرح النووي على صحيح مسلم (2/170).

قال ابن القيم رحمه الله :

" وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه كقوله : **" وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ "** ، وقول موسى عليه السلام : **" إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ "** ، فتلك بمعنى آخر ، وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب فهذه لون وفتنة المشركين لون ، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر ، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل ، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا و يتهاجروا لون آخر ". زاد المعاد (3 /170) .

ويتجلى معنى آخر للفتنة ، **وهو القتال والفرقة :** " يقال : فُتن القوم ؛ إذا تحاربوا " معجم متن اللغة (4/357)

صارت الفتنة على مفهومين من خلال المعاجم اللغوية :

الأول : الامتحان والابتلاء والاختبار.

الثاني : الاختلاف والتنازع ، وما يترتب عنهما من فُرقة واقتتال .

وتعرف هذه المعاني من خلال سياق النصوص في القرآن والسنة والآثار المروية عن السلف الصالح ؛ قال ابن حجر : " ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن " . الفتح (11 / 176).

والذي يعنينا في دراستنا هو المفهوم الثاني للفتنة ، ألا وهو : " الاختلاف والتنازع ، وما يترتب عنهما من فُرقة واقتتال " ، فهذا ما دارت حوله نصوص القرآن والسنة والآثار المروية عن السلف الصالح في الإخبار والتحذير من الفتن.

ذكرتُ لكم جُل ما قيل في معاني الفتنة ، وبيّنت لكم - بحول الله وقوته - اختلاف مدلولاتها في سياقات عديدة ؛ لتعرفوا حجم التلبيس والتدليس الذي فعله كهنة الطواغيت ، ونعال السلاطين في استعمالهم

مصطلح الفتنة ؛ ولتعرفوا كيف استطاع هؤلاء الخونة التلاعب بالنصوص ، وليّ أعناقها لخدمة طواغيتهم ، ولتثبيت أركان عروشهم ، وعروش المرتدين.

مقال (3)

التعوذ بالله من الفتن ، ومن إدراك زمانها

التعوذ بالله من الفتن ، ومن إدراك زمانها ، سنة نبوية ثابتة!

من تأمل وتدبر وتتبع الأحاديث التي وردت في استعاذة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الفتن عامة ، ومن فتنة القبر ، ومن فتنة الأعور الكذاب - وهما من جملة الفتن - ؛

ليعجب كيف لنا أن نفرط في الاستعاذة مما استعاذ منه النبي - صلى عليه وسلم - ؟! ، وهو المعصوم المحفوظ ، المؤيد من الله تبارك الله تعالى!

كل ذلك يدعو إلى تأمل وتدبر خطر هذه الفتن التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم .. !

ولا عجب حينما تقرأ حديثاً واحداً من الأحاديث النبوية في التحذير من الفتن ، حينها تعرف خطر هذه الفتن وشدتها :

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا ، كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا " . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

لذلك سنستعرض كثيرا مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاستعاذة من الفتن ، لأن البعض يتمنى قدوم الفتن ويستشرف لها ، وكأنه ضمن الثبات ، وتغافل عن استعاذة النبي منها ، وكذلك تحذيره من الاستشراف لها :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" تَكُونُ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، مَنِ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ " .**

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " رواه مسلم في حديث طويل .**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ،ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ،ومن فتنة المسيح الدجال " (رواه البخاري) .

عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يدعو في الصلاة : " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات ... " (رواه البخاري) .

عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت ، قال : أبو سعيد ولم أشهده من النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن حدثنيه زيد بن ثابت ، قال : بينما النبي - صـلى الله عليه وسـلم - في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تُلقيه وإذا أقبُرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعةٌ ، فقال : " من يعرف أصحاب هذه الأقبُر ، فقال رجل أنا .

قال : متى مات هؤلاء ؟ . قال ماتوا في الإشـراك . فقال : إن هذه الأمة تُبتلى في قُبُورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسـمعكم من عذاب القبر الذي أسـمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .قال:تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال " (رواه مسلم) .

عن أبي نضرة قال : قال ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في دبر صلاته من أربع ، يقول : " أعوذ بـالله من عـذاب القبر ، أعوذ بالله من عذاب في النار ، أعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأعوذ بالله من فتنة الأعور الكذاب " (رواه أحمد) .

عن نافع بن عمر ، قال : حدثني ابن أبي مُليكة ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : **" إني على الحوض ، حتى أنظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول : يارب ! مني ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم " ، فكان ابن أبي مُليكة ، يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، وأن نفتن في ديننا. (رواه البخاري) .**

فاللهم إنّا نعوذ بك من الفتن ، ونعوذ بك أن نضل ، أو نُضل!

مقال (4)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها

قبل أن نستعرض نصوص هذا الباب ، لابد من تأصيل أمر هام ، ألا وهو :

أن الحق واحد ، ولا يتعدد ، ولا يتعسر على أحد الوصول إليه!

لم هذا التأصيل؟

أقول وبالله التوفيق ؛ هذا الباب خاصة من الأبواب التي كثر اللغط فيها ، وخاض فيها من خاض من أهل الأهواء والبدع ، وحرف فيه من حرف ، من كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ؛ وجعلوا الحق الواضح الجلي الأبلج ، من الأمور المشتبهات ، التي لا يعلمها ولا يفهمها سواهم ؛

وهذا لخدمة الطواغيت وتثبيت أركان عروشهم ، وضمان بقاء دولهم وممالكهم ، وذلك لأن هؤلاء الخونة ينتفعون من الطواغيت بعوائد مادية ، ومعنوية ، واجتماعية بخيانتهم لأمانة الميثاق المأخوذ عليهم من الله جل وعلا : **" لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " ؛**

وشتان شتان بين عطاء الملك جل وعلا ، وبين عطاء الطواغيت لعنهم الله ؛ " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " !

ولكن هؤلاء الخونة استعجلوا النعيم والسعادة ، فآثروا النعيم الفاني على النعيم الباقي !

والأصل أن مدار الوصول إلى الحق هو هداية الله جل وعلا للعبد ، وهذا قد أعطاه الله لعباده ، فالهداية على قسمين :

1 - هداية توفيق وإلهام ؛ وهذه لا يقدر عليها إلا الله كما في قوله تعالى : **" إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ " .**

- وهذه خاصة بالمؤمنين ومنها قوله تعالى : **" فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ " .**

2 - هداية دلالة وإرشاد ؛ وهذه يقدر عليها العبد كما في قوله تعالى : **" وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " .**

- وهذه عامة لجميع الخلق ، فهي للأنبياء والمرسلين والعلماء والدعاة إلى الله ، ومنها قوله تعالى : **" وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ "**

فالحمد لله الذي وهب لعباده هداية التوفيق والإلهام ، والدلالة والإرشاد ؛ فأما **الأولى** تنالها بالدعاء والإلحاح على الله جل وعلا بالهداية ، وشرح الصدر بالحق ؛

وأما **الثانية** تنالها ببذل الجهد في فهم نصوص الشريعة وطلب الهداية من الله جل وعلا في ذلك ، هذا خاص بطلاب العلم ؛

أما العامّي الذي يقلد من يستفتي فعليه أن يجتهد في الوصول إلى العالم الصادع بالحق ، ولا يركن إلى علماء السلاطين وكهنة الطواغيت ، وحال هؤلاء لا يخفى على جاهل!

فلا حجة لأحد بعد ذلك ، والدين واضح بين جلي في عمومه ، وأما مسائله الخاصة يُرجع فيها العالم الرباني الصادع بالحق .

أما كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، فشتان بينهم وبين أئمة الإسلام الأعلام في صدعهم بالحق وبذلهم نفوسهم رخيصة في سبيل الله!

يقول *ابن القيم* في وصف حال كهنة الطواغيت ونعال السلاطين من الصدع بالحق :

" وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرى محارمَ الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك ، وسنّة رسول الله يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللّسان شيطانٌ أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق؟!

وهل بليّةُ الدين إلاّ من هؤلاء الذين إذا سَلِمتْ لهم مآكلُهم ورياساتُهم فلا مبالاة بما جرى على الدّين ؟!

وخيارهم المتحزن المتلمظ ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضةٌ عليه في جاهه أو ماله؛ بذل وتبذل وجد واجتهد ، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه!

وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدّنيا بأعظم بليّة تكون ، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإنّ القلب كلّما كانت حياته أتمّ؛ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدّين أكمل " (إعلام الموقعين) .

ويقول في وصف حال العلماء الربانيين ، والأئمة الأعلام ، في الصدع بالحق :

" وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ مُنِيَ مِنْ هَذَا بِمَا مُنِيَ بِهِ مَنْ سَلَفَ مِنْ الْأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّينَ ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ لِلنَّاظِرِينَ ، فَهَذَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ تَوَصَّلَ أَعْدَاؤُهُ إلَى ضَرْبِهِ بِأَنْ قَالُوا لِلسُّلْطَانِ : إنَّهُ يَحِلُّ عَلَيْك أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ بِفَتْوَاهُ أَنَّ يَمِينَ الْمُكْرَهِ لَا تَنْعَقِدُ ، وَهُمْ يَحْلِفُونَ مُكْرَهِينَ غَيْرَ طَائِعِينَ ، فَمَنَعَهُ السُّلْطَانُ ، فَلَمْ يَمْتَنِعْ لَمَّا أَخَذَهُ اللَّهُ مِنْ الْمِيثَاقِ عَلَى مَنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا أَنْ يُبَيِّنَهُ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ ،

ثُمَّ تَلَاهُ عَلَى أَثَرِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ فَوَشَى بِهِ أَعْدَاؤُهُ إلَى الرَّشِيدِ أَنَّهُ يُحِلُّ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ بِفَتْوَاهُ أَنَّ الْيَمِينَ بِالطَّلَاقِ قَبْلَ النِّكَاحِ لَا تَنْعَقِدُ وَلَا تَطْلُقُ إنْ تَزَوَّجَهَا الْحَالِفُ ، وَكَانُوا يُحَلِّفُونَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْأَيْمَانِ " وَإِنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ أَتَزَوَّجُهَا فَهِيَ طَالِقٌ "

وَتَلَاهُمَا عَلَى آثَارِهِمَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَقَالَ حُسَّادُهُ : هَذَا يَنْقُضُ عَلَيْكُمْ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ ، فَمَا فَتَّ ذَلِكَ فِي عَضُدِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا ثَنَى عَزَمَاتِهِمْ فِي اللَّهِ وَهَمَّهُمْ ، وَلَا صَدَّهُمْ ذَلِكَ عَمَّا أَوْجَبَ [ص: 89] اللَّهُ عَلَيْهِمْ اعْتِقَادَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ مِنْ الْحَقِّ الَّذِي أَدَّاهُمْ إلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ ، بَلْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ، وَصَارَتْ أَقْوَالُهُمْ أَعْلَامًا يَهْتَدِي بِهَا الْمُهْتَدُونَ ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : **{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }** " (إعلام الموقعين) [4/541]

فيا كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، أيناكم من هذا الحديث ، وغيره من كثير النصوص ؟! :

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَلا لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ ، فَإِنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ ، أَنْ يُقَالَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكَّرَ بِعَظِيمٍ " .**

فإلى الله المشتكى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مقال (5)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (1)

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أنّ النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ ثُمّ َقَالَ :"هَلْ تَرَوْنَ ما أرى ؟ إنّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ " (رواه مسلم) .

قال النووي رحمه الله :

" قوله - صلى الله عليه وسلم - **(أن النبي أشرف على أطم من آطام المدينة ، ثم قال : هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) .** الأُطُم : بضم الهمزة ، والطاء هو : القصر ، والحصن ، وجمعه آطام ، ومعنى أشرف : علا ، وارتفع . والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة ، والعموم أي : أنها كثيرة ، وتعم الناس لا تختص بها طائفة ، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل ، وصفين ، والحرة ، ومقتل عثمان ، ومقتل الحسين - رضي الله عنهما - ، وغير ذلك ، وفيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (217:216) .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

" سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ " (رواه البخاري ومسلم) .

قال النووي رحمه الله :

" قوله صلى الله عليه **وسلم : (سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ) .** وفي رواية : " ستكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القائم " . أما تشرف ... ، وهو من الإشراف للشيء ، وهو : الانتصاب ، والتطلع إليه ، والتعرض له ، ومعنى تستشرفه : تقلبه ، وتصرعه ، وقيل : هو من الإشراف بمعنى : الإشفاء على الهلاك ، ومنه أشفى المريض على الموت ، وأشرف ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ومن وجد منها ملجأ " أي : عاصماً ، وموضعاً يلتجئ إليه ، ويعتزل ، فليعذ به أي : فليعتزل فيه ، وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - : **(القاعد فيها خير من القائم)** إلى آخره ، فمعناه : بيان عظيم خطرها ، والحث على تجنبها ، والهرب منها ، ومن التشبث في شيء ، وأن شرها ، وفتنتها يكون على حسب التعلق بها " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(218:217)

عن عُثْمَانُ الشَّحَّامُ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَقُلْنَا : هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ ، أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا ، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ " ،
قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ ؟ ، قَالَ : " يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ "
قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ ، فَيَقْتُلُنِي ، قَالَ : " يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " (رواه مسلم) .

قال النووي رحمه الله :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : **(يعمد على سيفه ليدق على حده بحجر)** قيل : المراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث ليسد على نفسه باب هذا القتال ، وقيل : هو مجاز ، والمراد ترك القتال ، والأول أصح . وهذا الحديث ، والأحاديث قبله ، وبعده مما يحتج به من لا يرى القتال في الفتنة بكل حال . وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة ، فقالت طائفة : لا يقاتل في فتن المسلمين ، وإن دخلوا عليه بيته ، وطلبوا قتله ، فلا يجوز له المدافعة عن نفسه ، لأن الطالب متأول ، وهذا مذهب أبي بكرة الصحابي - رضي الله عنه - ، وغيره وقال ابن عمر ، وعمران بن الحصين - رضي الله عنهم - ، وغيرهما : لا يدخل فيها لكن إن قصد دفع عن نفسه ، فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام ، وقال معظم الصحابة ، والتابعين ، وعامة علماء الإسلام : يجب نصر المحق في الفتن ، والقيام معه بمقاتلة الباغين ، كما قال تعالى : **" فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي " الأية .** وهذا هو الصحيح ، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق ، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد ، واستطال أهل البغي ، والمبطلون ، والله أعلم " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (219:218)

عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ يَا أَحْنَفُ! قَالَ : قُلْتُ : أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ : فَقَالَ : لِي يَا أَحْنَفُ! ارْجِعْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
"إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : أَوْ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ "

قال النووي رحمه الله :

" قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) مَعْنَى (تَوَاجَهَا) ضَرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَيْ ذَاتَهُ وَجُمْلَتَهُ . وَأَمَّا كَوْنُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَنْ لَا تَأْوِيلَ لَهُ ، وَيَكُونُ قِتَالُهُمَا عَصَبِيَّةً وَنَحْوَهَا ـ ثُمَّ كَوْنُهُ فِي النَّارِ مَعْنَاهُ مُسْتَحِقٌّ لَهَا ، وَقَدْ يُجَازَى بِذَلِكَ ، وَقَدْ يَعْفُو اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ ، وَقَدْ سَبَقَ تَأْوِيلُهُ مَرَّاتٍ ، وَعَلَى هَذَا يُتَأَوَّلُ كُلُّ مَا جَاءَ مِنْ نَظَائِرِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّمَاءَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْوَعِيدِ ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَقُّ إِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَتَأْوِيلُ قِتَالِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ لَمْ يَقْصِدُوا مَعْصِيَةً وَلَا مَحْضَ الدُّنْيَا ، بَلِ اعْتَقَدَ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّهُ الْمُحِقُّ ، وَمُخَالِفُهُ بَاغٍ ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ قِتَالُهُ لِيَرْجِعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ مُصِيبًا ، وَبَعْضُهُمْ مُخْطِئًا مَعْذُورًا فِي الْخَطَأِ ; لِأَنَّهُ لِاجْتِهَادٍ ، وَالْمُجْتَهِدُ إِذَا أَخْطَأَ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْمُحِقُّ الْمُصِيبُ فِي تِلْكِ الْحُرُوبِ . هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَكَانَتِ الْقَضَايَا مُشْتَبِهَةٌ حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ تَحَيَّرُوا فِيهَا فَاعْتَزَلُوا الطَّائِفَتَيْنِ ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا ، وَلَمْ يَتَيَقَّنُوا الصَّوَابَ ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا عَنْ مُسَاعَدَتِهِ مِنْهُمْ .

قَوْلُهُ : (أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي ؟ قَالَ يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) مَعْنَى (يَبُوءُ بِهِ) يَلْزَمُهُ ، وَيَرْجِعُ ، وَيَحْتَمِلُهُ أَيْ يَبُوءُ الَّذِي أَكْرَهَكَ بِإِثْمِهِ فِي إِكْرَاهِكَ ، وَفِي دُخُولِهِ فِي الْفِتْنَةِ ، وَبِإِثْمِكَ فِي قَتْلِكِ غَيْرَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، أَيْ مُسْتَحِقًّا لَهَا .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ رَفْعُ الْإِثْمِ عَنِ الْمُكْرَهِ عَلَى الْحُضُورِ هُنَاكَ . وَأَمَّا الْقَتْلُ فَلَا يُبَاحُ بِالْإِكْرَاهِ بَلْ يَأْثَمُ الْمُكْرَهُ عَلَى الْمَأْمُورِ بِهِ بِالْإِجْمَاعِ . وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ فِيهِ الْإِجْمَاعَ قَالَ أَصْحَابُنَا : وَكَذَا الْإِكْرَاهُ عَلَى الزِّنَا ، لَا يُرْفَعُ الْإِثْمُ فِيهِ . هَذَا إِذَا أُكْرِهَتِ الْمَرْأَةُ حَتَّى مَكَّنَتْ مِنْ نَفْسِهَا . فَأَمَّا إِذَا رُبِطَتْ ، وَلَمْ يُمْكِنْهَا مُدَافَعَتَهُ ، فَلَا إِثْمَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الْمَقْتُولَ فِي النَّارِ لِأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبَهُ) فِيهِ دَلَالَةٌ لِلْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ مَنْ نَوَى الْمَعْصِيَةَ ، وَأَصَرَّ عَلَى النِّيَّةِ يَكُونُ آثِمًا إِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا ، وَلَا تَكَلَّمَ ... " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (220:219) .

فهذه الأحاديث التي نقلتها لك بشرح الإمام المتفنن النووي رحمه الله ، من أكثر أحاديث الباب التي يتلاعب بها كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، ليلبسوا على الناس دينهم ؛

يقولون عن المجاهدين خوارج وكلاب أهل النار ، فإن سُئلوا ما دليلكم في ذلك ؟ ، يقولون : يقتلون أهل الإيمان ، ويدعون أهل الأوثان ؛ ثم يقولون : ألم تقرأ أحاديث الفتن وتحذير النبي صلى الله عليه وسلم منها ، حتى يصلوا بك إلى حديث : **" إذا التقى المسلمان بسيفهما "** ، فيقولون : هذا اقتتال محرم ؛ وكثير شبه يُلقونها على عوام المسلمين ، فأقول وبالله التوفيق ؛

يا كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، لو كان الأمر كما تقولون بأن جند الخلافة خوارج وكلاب أهل النار ، لأنهم يقتلون أهل الإيمان ، ويدعون أهل الأوثان ، فما هو الإيمان عندكم ؟!

أليست الموالاة ومظاهرة الكفار والمرتدين ردة عن ملة الدين؟

ما رأيكم أيها المرجئة الجهمية ، فيمن والى الكفار ، بل وقاتل تحت غطائهم الجوي الصليبي من أقام شرع الله تعالى؟

هل قاتل جند الخلافة إلا الصليبية العالمية ، والروافض ، والصحوات ؟

، ثم لما والت الفصائل والجبهات الصليب ، دارت رحى الحرب بين جند الخلافة ، وكلابكم المرتدة ، لأنهم طعنوا الأمة بخنجر مسموم في ظهرها ، وهم سرطان يجب استئصاله!

ثم استدلالكم بحديث : **" إذا التقى المسلمان بسيفهما "** استدلال باطل ، لأن الفصائل والجبهات المفحوصة ، التي تقاتل المجاهدين ، بدعم صليبي ، هي جبهات وفصائل مرتدة بموالاتها للطواغيت والصليبيين ، وإزاحتها المجاهدين من مناطق سيطراتهم التي أقاموا فيها شرع الله جل وعلا ، وتمكين القوانين الوضعية الكفرية ، فالحديث خارج عن الاستدلال به ، لأن أحد طرفيه مرتد خارج عن الملة ، والطرف الثاني مسلم موحد ، فأين المسلمان هاهنا ؟!

قال الشيخ سليمان بن عبد الله :

" قال تعالى : **" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً "** ، قال بعض المفسرين : نُهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويتعاشر . وقوله : **" مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ "** يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار فلا تؤثروهم عليهم **" وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ "** أي ومن يتولى الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعني أنه منسلخ على من ولاية الله رأساً ، وهذا أمر معقول ، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان " **(أوثق عرى الإيمان)** .

ثم لم أفتى رأس الإرجاء الجهمي في زماننا " **ربيع المدخلي** " لعنه الله ، بوجوب قتال أتباعه لجند الخلافة في ليبيا بجوار الطاغوت حفتر لعنه الله ، أليس هذا التقاء للمسلمين بسيوفهم؟!

فإن قلتم هؤلاء خوارج ، قلنا لكم هذه فتن كما تقولون ، فاعتزلوا القتال في الفتن كما صدعتم رؤوس الأمة بأن الجهاد في زماننا من الفتن التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - ،فالتزموا كلامكم لعنكم الله جميعا ، ولكنها الأهواء ، والتزلف الطواغيت لنيل الرضا ، والقرب منهم!

يا كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، تطلبون من الأمة الآن اعتزال الجهاد في شتى الساحات بدعوى أن هذا قتال فتنة ، فأيناكم من كلام النووي رحمه الله؟ :

" وقال معظم الصحابة ، والتابعين ، وعامة علماء الإسلام : يجب نصر المحق في الفتن ، والقيام معه بمقاتلة الباغين ، كما قال تعالى : " **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي** " الأية . وهذا هو الصحيح ، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق ، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد ، واستطال أهل البغي ، والمبطلون ، والله أعلم " ؛

ألا ترون ظهور الفساد ، واستطالة أهل البغي على أمتنا ، وانتهاك أعراض العفيفات في سجون الطواغيت؟

ولكنم كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، وأنتم من يعطيهم الصبغة الشرعية على فعالهم ، تحت غطاء أنهم ولاة الأمر ، وطاعتهم واجبة ، وكأننا لا نرى كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان ؛ فالموعد ساحات الوغى ، وعند الله تجتمع الخصوم!

مقال (6)

(الفتن وأخبارها ، والتحذير منها(2))

عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

" بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا " (رواه مسلم) .

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْنَاهُ ، يَقُولُ :

" إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلاقَهُمْ فِيهَا بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ " ،

قَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا بِلا عُقُولٍ ، أَجْسَامًا بِلا أَحْلامٍ ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ . (رواه أحمد ، الحاكم في المستدرك) .

حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا ؛ هذه الفتن قد رأيناها - والعياذ بالله - ؛ فمن كان من العلماء صار من منظري الكفر والإلحاد ، وما عبد الله القصيمي عنا ببعيد ؛

وكذا من عاش في ساحات الوغى وكان شيخاً للجهاد ، أصبح رأساً في الإرجاء ، والمخطط والمباشر الأول للخيانات في ساحات الجهاد ؛

ومن دخل إلى ساحات الجهاد يبغي أن يُكتب في قوائم الاستشهاد ليلقى الله رب البريات ، صار مضرب المثل في الخيانات ، ونقض البيعات ، وفك الارتباطات !

أما قول الحسن - رضي الله عنه - : " وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا بِلا عُقُولٍ ، أَجْسَامًا بِلا أَحْلامٍ ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ " ؛

فهذا وصف دقيق لحال الفصائل والجبهات المرتدة في ساحات الجهاد ، يبيعون أنفسهم بدراهم معدودات ، ويحاربون جند الخلافة ورايتها لإرضاء الطواغيت ورؤوس الصليبية العالمية ، والغاية حفنة دولارات ؛ولقد رأيناهم ورب السماء كما قال الحسن رضي الله عنه وعن أبي وآل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - : " صُوَرًا بِلا عُقُولٍ ، أَجْسَامًا بِلا أَحْلامٍ ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ " ؛ فإذا وقع أحدهم تحت السكين

الحاذقة ، أو الطلقة الفالقة ، أو السيف البتار ؛ عاد إليه عقله وصار من أولي الأحلام ؛ وإذا سُئل لماذا حاربت جند الخلافة ؟ ، بكى وقال : طمعاً في حفنة دولارات!

ويا أيها الباحث عن الحق ، المتوقف إلى الآن في حال جند الخلافة ؛ أما ترى اجتماع أمم الكفر على دولة الخلافة وجندها ، أما ترى معركة الأحزاب ، أما ثبات جند الخلافة بالرغم من الخيانات والتحالفات؟

سل نفسك سؤال الباحث عن الحق ، منذ متى ورؤوس الكفر تتحالف مع أهل الإسلام - زعموهم أهل إسلام - ليقاتلوا الخوارج - المجاهدين - ، لأجل الحفاظ على صورة الدين ؟!

بالله سل نفسك كيف يُكبرُ كلاب الفصائل والجبهات عند قصف طائرات التحالف الصليبي لعوام المسلمين والمجاهدين ، منذ متى والإسلام والصليب يقاتلان تحت راية واحدة ؟!

كيف ينطق هؤلاء ويصرخون : " الله أكبر والعزة لله ورسوله والمؤمنين " ، وطائرات التحالف الصليبي تقصف إخوانهم ، أي عزة يبغونها ، وهم خونة لرايتها ، أي عزة ينتسبون إليها ، وقد نقضوا إسلامهم وإيمانهم ؟!

فسبحان من أنطق الحسن رضي الله عنه وعن أبيه وآل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأجرى على لسانه هذا الوصف الدقيق لفصائل وجبهات الردة في زماننا :

" وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَاهُمْ صُوَرًا بِلا عُقُولٍ ، أَجْسَامًا بِلا أَحْلامٍ ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ "

فاللهم انصر جند الخلافة ، وكن لهم ناصراً ومعيناً ، وافتح لهم قلوب العباد ، وافتح لهم البلاد ، ومكنهم من رؤوس الكفر الإرجاء والخيانات!

مقال (7)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (3)

عَن أَبِي إِدْرِيْس الْخَوْلَانِي أَنَّه سَمِع حُذَيْفَة يَقُوْل:

" كَان النَّاس يَسْأَلُوْن رَسُوْل اللَّه-صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم- عَن الْخَيْر، وَكُنْت أَسْأَلُه عَن الْشَّر مَخَافَة أَن يُدْرِكَنِي، فَقُلْت: يَا رَسُوْل الْلَّه، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّة وَشَر فَجَاءَنَا الْلَّه بِهَذَا الْخَيْر فَهَل بَعْد الْخَيْر شَر؟ قَال: نَعَم. فَقُلْت: فَهَل بَعْد هَذَا الْشَّر مِن خَيْر؟ قَال: نَعَم وَفِيْه دَخَن، قَال قُلْت: وَمَا دَخَنُه؟ قَال: قَوْم يَسْتَنُّون بِغَيْر سُنَّتِي وَّيَهْدُوْن بِغَيْر هَدْيِي تَعْرِف مِنْهُم وَتُنْكِر، فَقُلْت هَل بَعْد ذَلِك الْخَيْر مِن شَر؟ قَال: نَعَم فِتْنَة عَمْيَاء دُعَاة عَلَى أَبْوَاب جَهَنَّم، مَن أَجَابَهُم إِلَيْهَا قَذَفُوْه فِيْهَا. فَقُلْت: يَا رَسُوْل الْلَّه، صِفْهُم لَنَا، قَال: نَعَم، قَوْم مِن جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُوْن بِأَلْسِنَتِنَا، فَقُلْت: يَا رَسُوْل الْلَّه، وَمَا تَأْمُرُنِي إِن أَدْرَكْت ذَلِك، قَال تَلْزَم جَمَاعَة الْمُسْلِمِيْن وَإِمَامَهُم قُلْت فَإِن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَة وَلَا إِمَام؟ قَال: فَاعْتَزِل تِلْك الْفِرَق كُلَّهَا، وَلَو أَن تَعَض عَلَى أَصْل الْشَّجَرَة حَتَّى يُدْرِكَك الْمَوْت وَأَنْت عَلَى ذَلِك " (رواه مسلم) .

، قَالَ : بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَيَّ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، وَقَدِمْتُ ، فَدَخَلْتُ ، وَالنَّاسُ سِمَاطَانِ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي مَخْرَجِنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ مَوَدَّةٌ . قَالَ : لَتُخْبِرُنِي . فَتَفَكَّرْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : لَأَصْدُقَنَّهُ ، وَاسْتَبْسَلْتُ لِلْمَوْتِ ، ثُمَّ رَوَيْتُ لَهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حَدِيثَ " الْأَعْمَالِ " وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ يَنْكُتُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ : مَا تَقُولُ فِي قَتْلِ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : **" لَا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ . . . " [ص: 125]** وَسَاقَ الْحَدِيثَ . فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْخِلَافَةِ ، وَصِيَّةٌ لَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ فَقُلْتُ : لَوْ كَانَتْ وَصِيَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا تَرَكَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدًا يَتَقَدَّمُهُ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي أَمْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ ؟ قُلْتُ : إِنْ كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا ، فَهِيَ عَلَيْكَ حَرَامٌ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ حَرَامًا ، فَهِيَ عَلَيْكَ أَحْرَمُ . فَأَمَرَنِي ، فَأُخْرِجْتُ .

قُلْتُ : قَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ مَلِكًا جَبَّارًا ، سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ ، صَعْبَ الْمِرَاسِ ، وَمَعَ هَذَا فَالْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ يَصْدَعُهُ بِمُرِّ الْحَقِّ كَمَا تَرَى ، لَا كَخَلْقٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ ، الَّذِينَ يُحَسِّنُونَ لِلْأُمَرَاءِ مَا يَقْتَحِمُونَ بِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ، وَيَقْلِبُونَ لَهُمُ الْبَاطِلَ حَقًّا - قَاتَلَهُمُ اللَّهُ - أَوْ يَسْكُتُونَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ " (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي .

قال ابن القيم في وصف دعاة جهنم لعنهم الله :

" وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرى محارمَ الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك ، وسنّة رسول الله يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللّسان شيطانٌ أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق؟!

وهل بليّةُ الدين إلاّ من هؤلاء الذين إذا سَلِمتْ لهم مآكلُهم ورياساتُهم فلا مبالاة بما جرى على الدّين ؟! وخيارهم المتحزن المتلمظ ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضةٌ عليه في جاهه أو ماله؛ بذل وتبذل وجد واجتهد ، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه!

وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدّنيا بأعظم بليّة تكون ، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإنّ القلب كلّما كانت حياته أتمّ؛ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدّين أكمل " (إعلام الموقعين) لابن القيم .

فشتان شتان بين من قام بأمر الله ، ووفى بحق الميثاق المأخوذ عليه من الله جل وعلا ، وبين من بدل وحرف الدين ، وخان الميثاق المأخوذ عليه من رب العالمين .. !

شتان شتان بين علماء الثغور ، وعلماء القصور .. !

فيا لله من كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، وحربهم على المجاهدين ، وغمزهم ، ووصفهم بأشنع الأوصاف ، ما حملهم على ذلك ، إلا التزلف والتقرب إلى الطواغيت ، لأجل دنيا فانية ، وابتغاء لُعاعة حقيرة من حُطام الدنيا ؛ بالرغم من علمهم أن المجاهدين هم حائط الصد دونهم والروافض ، فلو هُدم هذا الحائط ، لتكونن رقابهم قبل طواغيتهم قرباناً للكافرين .. !

فيا إخوة العقيدة احذروا كهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، ولا تتبعوهم فهم دُعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها .. !

دونكم علماء الحق ، ومن جهروا به ، ورابطوا لأجله ، فعنهم خذوا دينكم ، ولهم فاسمعوا ، ولسبيلهم فاتبعوا ، فإنما هو سبيل نبينا العدنان .. !

احذروا علماء السوء ، وكهنة الطواغيت ونعال السلاطين ، فقلوبهم باردة ، لا تتحرك لدمائكم ، ولا لانتهاك أعراضكم ، ولا لذبح أطفالكم ، ولا لإهانة شيبتكم ، فلا تؤملوا فيهم ، ولا تنتظروهم ، فقد تمكن الإرجاء من قلوبهم ، واستذلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، واشتراهم الطواغيت بدراهم معدودات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

مقال (8)

(الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (4))

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْها - أَنَّهَا قَالَتْ :

" اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً ، قِيلَ : أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ " (رواه البخاري)

وفي رواية الإمام مسلم : **" وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها "**

قال النووي - رحمه الله - :

" **قوله (أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ)** . قال : إذا كثر الخبث هو بفتح الخاء ، والباء ، وفسره الجمهور بالفسوق ، والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، وقيل : أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً . ويهلك بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة ، وحكي فتحها ، وهو ضعيف ، أو فاسد ومعنى الحديث : أن الخبث إذا كثر ، فقد يحصل الهلاك العام ، وإن كان هناك صالحون " (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام النووي [213:212]

والمتأمل لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - المذكور ، ولشرحه وبيانه وتفسيره من أئمة الدين ، يعلم علم اليقين أن القلة الصالحة تهلك ، إذا عم الخبث والفساد ، ولم تأخذ هذه القلة على أيدي هؤلاء ؛

قال الله جل وعلا : **" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "** ؛

فإذا قامت هذه الثلة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يرتدع هؤلاء هلك الجميع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

غير أني أرى وجهاً أخر لهذا الحديث ، فأقول وبالله التوفيق ؛

الهلكة هنا ربما يُقصد بها معنى أخر ، ألا وهو هلكة أهل الحق دون الحق الذي معهم ، أي أن أهل الحق وهم قلة ربما يهلكون أي يقتلون في سبيل إنكار هذه المنكرات ، وتفنى أرواحهم دون ما معهم من الحق والصبر عليه ، فليس شرطاً أن يقوم صاحب الحق بالحق الذي معه فينتصر الانتصار المادي الظاهر ، أي غلبته على عدوه ، فهل كان انحصار وانحياز المجاهدين يوماً دليل هزيمة ؟!

بالطبع لا فالقتل في حسابات المجاهد نصر ، فهو يبغي إحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة ؛

وهل انهزم الحق يوم دل غلام أصحاب الأخدود ، الملك الطاغية على سبيل قتله ؟!

على العكس تماماً انتصر الحق ، وآمن الناس ، وتحملوا من أجل الحق كل البلاء ، بل فنيّ هؤلاء لأجل الحق الذي معهم ، فصبروا وتحملوا ، وهم في الحسابات المادية هلكوا ، نعم هلكوا ولكن هلاك يفرق عن هلاك ؛

لأن تهلك دون الحق فهذا المبتغى والرجاء من الله ، فهي الشهادة ، وحسبك ما أعد الله للشهداء ؛ لا أن تهلك بعذاب من عند الله ينزله على عباده العاصين - والعياذ بالله - ؛

وهذا يوافق الحديث الذي أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - :

عن ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَنَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ،وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : " يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ ، وَإِنِّي أُعْطِيكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا " .
وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ ، وَإِنَّهُ يَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَأَنَّهُ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ " (رواه مسلم)

فاستئصال أهل الحق ممتنع ، وإن كانوا قلة ، ولكن ربما يهلك أغلبهم دون الحق الذي معهم ، فالذي يظهر من الحديث أن الهلكة بالتغليب ، أي بكثرة الشهداء في سبيل الحق ، وردع الطغاة عن خبثهم ، وكذلك هلكة العصاة بأيدي المجاهدين ، فيكون القتل عظيماً في الطرفين ، طرف ينال الشهادة ، وطرف يسلط الله عليهم عذابه ؛ إما بأيدي المجاهدين ، أو بعذاب ينزله عليهم من فوق سبع سماوات ، كما حدث في تسونامي ، والأمثلة كثيرة.

وتأويلي السابق هذا لما يكون قبل خروج يأجوج ومأجوج ، وهو فقط لبيان ما يقع من هلكة للمسلمين في بعض البلدان ، وبينهم بعض الصالحين ؛

فكما قلنا الاستئصال ممتنع ، وتغليب الهلكة غير ممتنع أيضاً ، وواقعنا المعاصر يصدق كل ذلك ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن عصابة ستبقى ظاهرة على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، فهذا يشهد لتأويلي السابق أن الهلكة المقصودة هي التغليب ، وذلك قبل خروج يأجوج ومأجوج ، فالله المستعان وعليه التكلان ، ونعوذ به من الخذلان!

مقال (9)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (5)

هل كان الوعد الإلهي للنبي محمد - محمد صلى الله - :

" وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا " ،

يُقصد به أن هذه الأمة هي التي تُسلط بعضها على بعض ، أم يُقصد به أن الله تكفل لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يهلك من يجتمع عليها ليستبيح بيضتها ، بأن يُهلك هؤلاء بعضهم بعضاً ؟!

تدبر معي هذا الحديث يارعاك الله ؛

عن ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَنَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : " يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ ، وَإِنِّي أُعْطِيكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا " .

وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تُعْبَدُ الأَوْثَانُ ، وَإِنَّهُ يَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَأَنَّهُ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ " (رواه مسلم) .

قال الشيخ محمد الأمين الهرري :

" (**حتى يكون بعضهم**) أي بعض المسلمين (**يهلك**) أي يقتل (**بعضاً**) آخر منهم (**ويسبي**) أي يأسر (**بعضهم**) أي بعض المسلمين (**بعضاً**) آخر منهم . وهذه الجملة تحتمل معنيين :

الأول : أن يكون الضمير في (**بعضهم**) عائداً على المسلمين ، فالمراد أن أعداء المسلمين لا يستطيعون أن يستبيحوا بيضتهم ، ولكن قد يكون المسلمون يتقاتلون فيما بينهم ، فيُهلك بعضهم بعضاً ، ويأسر بعضهم بعضاً ، وبهذا التفسير جزم الطيبي .

الاحتمال الثاني : أن يكون الضمير في قوله (**بعضهم**) عائداً على أعداء المسلمين ، فيكون المراد أنهم كلما اجتمعوا لاستئصال المسلمين ، لم يتمكنوا من ذلك حتى تصير عاقبتهم إلى المقاتلة فيما بينهم والله أعلم ؛

قال القرطبي :

(**حتى يكون**) .. الخ ، ظاهر (**حتى**) الغاية ، فيقتضي ظاهر الكلام أنه لايسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض ، وسبي بعضهم لبعض ، وحاصل هذا أنه إذا كان من المسلمين ذلك تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو ، فقويت شوكة العدو ، واستولى عليهم كما شاهدناه في أزماننا هذه في المشرق والمغرب ، وذلك أنه لما اختلف ملوك الشرق وتجادلوا استولى كفار الترك على جميع عراق العجم ، ولما اختلف ملوك المغرب وتجادلوا استولت الإفرنج على جميع بلاد الأندلس والجزر القريبة منها ، وها هم قد طمعوا في جميع بلاد الإسلام ، فنسأل الله أن يتدارك المسلمين بالعفو والنصر واللطف ، ولا يصح أن يكون (حتى) بمعنى (كي) لفساد المعنى فتدبره "

(الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) الشيخ محمد الأمين الهرري [26/97:96]

قلت :

والذي يترجح لي - والله أعلم - أن الجمع بين التوجهين صحيح وغير ممتنع ؛ فيكون تأويل الحديث حينها ، أو هذه البشارة النبوية بالوعد الإلهي على هذا النحو :

أن استباحة العدو لبيضة المسلمين يمتنع حصوله وحدوثه ، ولكن لا يمتنع تقاتل أهل الإسلام فيما بينهم ، حتى يُهلك بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً ، وليست الهلكة هنا هلكة استئصال ، ولكنها تشير إلى كثرة القتل في صفوف أهل القبلة الواحدة ، وشدة تفرقهم وتحزبهم وتشرذمهم ؛

وكذلك أنه كلما اجتمع رؤوس الكفر وأذنابهم لحرب الإسلام ، واستئصاله ، سلطهم الله بعضهم على بعض ، فيُهلك بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً ، وهذا حدث مرات ومرات ، وصفحات التاريخ مليئة بذلك ؛

فخلاصة الأمر ؛ الأمة تتفرق وتتقاتل فيما بينها ويأسر بعضها بعضاً ، ويسبي بعضها بعضاً نعم ، أما أن يمكن الكفار من بيضة الإسلام لاستئصاله ، ومحوه من الدنيا فلا ، ولو اجتمعت كل أمم الكفر على ذلك ، ومهما كان وهن الأمة وضعفها فمحال أن يقع ذلك ، لأن نهاية الحديث بشارة بعصابة قائمة على الحق لا يضرها من خذلها حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وهذه سنة الله في المدافعة بين الحق والباطل ، ولو كان أهل الحق قلة فتأمل !

أما ما ذكره القرطبي رحمه الله :

" فيقتضي ظاهر الكلام أنه لايسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض ، وسبي بعضهم لبعض ، وحاصل هذا أنه إذا كان من المسلمين ذلك تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو ، فقويت شوكة العدو ، واستولى عليهم ... " ؛

فلله دره من عالم يرى ببصيرة الدين ، مآل هذه الصراعات القذرة ؛ فهذا هو الواقع الذي نعيشه في زماننا هذا ، فلكم عطلت فصائل وجبهات الردة جند الخلافة عن فتوحاتهم ، بخاينتهم لهم وطعنهم في ظهورهم بدلاً من توجيه ضرباتهم للعدو النصيري الكافر ؛ بل والأدهى والأمر من ذلك تحالفاتهم النجسة مع الصليبية العالمية متمثلة في دول الصليب الكافرة ضد جنود الخلافة ، فبسهام هؤلاء الملاعين ، تم حصار إخواننا في الشام ، وانحاز جند الخلافة من بعض أماكن سيطراتهم التي حُكم فيها بشريعة الله ، واسترد الروافض الكثير من القرى والمدن ، دون رصاصة واحدة تطلق صوبهم من فصائل وجبهات الردة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛

فيا لله من خيانة الخائنين ، وتحالفات الكفار والمرتدين ، وعمالة علماء السلاطين ، وتحريف كهنة الطواغيت لنصوص الدين ، ونجاسة اتفاقيات غرف الموك لحرب المجاهدين ؛ فإلى الله المشتكى وحسبنا الله ونعم الوكيل!

مقال (10)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (6)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

" يَا مَعْشَــرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَــةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّــمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُــوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُــولِهِ إِلَّا سَــلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِم ،وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَــهُمْ بَيْنَهُمْ " (رواه ابن ماجه بسـند حسـنه الشـيخ الألباني)

حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من بعض الخصال التي متى انتشرت أوشكت الأمة على بلاء عام ، وشدائد يعلم الله وحده عظمها ؛

الخصلة الأولى :

" لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا "

فانتشـار الزنا ، والجهر به ، بل والدعوة إلى ارتكابه تحت مسمى الحريات ، من أعظم أسباب الطاعون والأمراض والأوجاع التي تكن في أسلاف هذه الأمة ،

قال الله تعالى : **" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا "** ،

قال الطبري في تفسـير هذه الأية : **" ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشــة وســاء ســبيلا"** يقول تعالى ذكره وقضــى أيضــا أن لا تقربوا أيها الناس الزنا أنه كان فاحشــة يقول أن الزنا كان فاحشــة ، وســاء سـبيلا ، يقول وســـاء طريق الزنا طريقا لأنه طريق أهل معصـــية الله والمخالفين أمره فأســـوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم "

وقال ابن كثير : **" ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشـه وسـاء سبيلا "** يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته وهو مخالطه اسـبابه ودواعيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشــه اي ذنبا عظيما وســاء سـبيلا اي وبئس طريقا ومسلكا "

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ مَالِكٍ الطَّائِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ نُطْفَةٍ [ص: 73] وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمٍ لَا يَحِلُّ لَهُ " ؛

ثم يخرج علينا عبيد السلاطين ، وحثالة الجماعات والأحزاب الإسلامية زوراً وبهتاناً ، العلمانية صدقاً وحقاً ، كجماعة الإخوان الحقيرة التي ضيعت الأمة بإرجائها ، وولائها للديموقراطية الكفرية ، فيقولون نريد تطبيق الشريعة ، فلما صارت لهم سطوة وقوة في مصر لا شريعة طبقوا ، ولا دين أقاموا ، وكذلك لما تمكنوا من الحكم في تركيا ، أقر خليفتهم المرتد أردوغان - القردوغان - بيوت الفاحشة ، وأقر حقوق الشواذ ، أقر الملعون جريمة الزنا واللواط .. ؛

ثم نتسأل من أين نبتلى بالأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا ، كالسرطانات والإيدز ، وحمى البحر المتوسط وكثير من الأمراض النادرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

الخصلة الثانية :

" وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ "

هذا الخصلة عذب الله بها قوم شعيب ، وتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة ، قال الملك جل وعلا :

" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ "

وحذر الله منها في كتابه ، قال الملك جل وعلا :

" وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) "

قال الطبري :

" يقول تعالى ذكره : الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون ، يعني : للذين ينقصون الناس ، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك من الشيء الطفيف ، وهو القليل النزر ، والمطفف : المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن; ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد : هم سواء كطف الصاع ، يعني بذلك : كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء " ؛

فاللهم سلم سلم .. ؛

من أجل ماذا تطفف الميزان والمكيال يا مسكين ؟!

والله ما أراك تفعل ذلك إلا لأجل أن تكون من السابقين إلى وادي الويل الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون !

ووالله ما سلط علينا الطواغيت ، وارتفعت علينا الأسعار إلا بأفعال الفجار الذين ينقصون الكيل والميزان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

الخصلة الثالثة :

" وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا "

والزكاة من أركان الإسلام ، كما هو معلوم ؛

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير :

" وَقَدْ وَرَدَ فِي السِّيرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَضَّ أَهْلَ الْغِنَى عَلَى النَّفَقَةِ وَالْحُمْلَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا عَلَى جَيْشِ غَزْوَةِ تَبُوكٍ وَحَمَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى فَالَّذِينَ انْكَمَشُوا عَنِ النَّفَقَةِ هُمُ الَّذِينَ عَنَتْهُمُ الْآيَةُ بِـ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ .

وَالْكَنْزُ بِفَتْحِ الْكَافِ مَصْدَرُ كَنَزَ إِذَا ادَّخَرَ مَالًا ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَالِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّذِي يُخَزَّنُ ، مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَفْعُولِ كَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ .

وَ سَبِيلُ اللَّهِ هُوَ الْجِهَادُ الْإِسْلَامِيُّ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

فَالْمَوْصُولُ مُرَادٌ بِهِ قَوْمٌ مَعْهُودُونَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمُ الْمُرَادُ مِنَ الْوَعِيدِ ، وَيَعْرِفُهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيءَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّبَ قَوْمًا بِأَعْيَانِهِمْ .

[ص: 177] وَمَعْنَى وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ انْتِفَاءُ الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ ، وَهُوَ الصَّدَقَاتُ الْوَاجِبَةُ وَالنَّفَقَاتُ الْوَاجِبَةُ : إِمَّا وُجُوبًا مُسْتَمِرًّا كَالزَّكَاةِ ، وَإِمَّا وُجُوبًا عَارِضًا كَالنَّفَقَةِ فِي الْحَجِّ الْوَاجِبِ ، وَالنَّفَقَةِ فِي نَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ وُلَاةُ الْعَدْلِ .

وَالضَّمِيرُ الْمُؤَنَّثُ فِي قَوْلِهِ : " يُنْفِقُونَهَا " عَائِدٌ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

وَالْوَعِيدُ مَنُوطٌ بِالْكَنْزِ وَعَدَمِ الْإِنْفَاقِ ، فَلَيْسَ الْكَنْزُ وَحْدَهُ بِمُتَوَعَّدٍ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَتِ الْآيَةُ فِي مَعْرِضِ أَحْكَامِ ادِّخَارِ الْمَالِ ، وَفِي مَعْرِضِ إِيجَابِ الْإِنْفَاقِ ، وَلَا هِيَ فِي تَعْيِينِ سُبُلِ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ الَّتِي يَجِبُ الْإِخْرَاجُ لِأَجْلِهَا مِنَ الْمَالِ ، وَلَا دَاعِيَ إِلَى تَأْوِيلِ الْكَنْزِ بِالْمَالِ الَّذِي لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ حِينَ وُجُوبِهَا ، وَلَا إِلَى تَأْوِيلِ الْإِنْفَاقِ بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ ، وَلَا إِلَى تَأْوِيلِ سَبِيلِ اللَّهِ بِالصَّدَقَاتِ الْوَاجِبَةِ ; لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِاسْمِ

الْمَوْصُــولِ الْعُمُومَ بَلْ أُرِيدَ بِهِ الْعَهْدُ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى ادِّعَاءِ أَنَّهَا نَسَــخَتْهَا آيَةُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ ، فَإِنَّ وُجُوبَ الزَّكَاةِ سَابِقٌ عَلَى وَقْتِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ .

وَوَقَعَ فِي الْمُوَطَّأِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سُـئِلَ عَنِ الْكَنْزِ ، أَيِ الْمَذْمُومِ الْمُتَوَعَّدِ عَلَيْهِ فِي آيَةِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّــةَ الْآيَةَ مَا هُوَ فَقَالَ : هُوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى مِنْهُ الزَّكَاةُ . **وَفِي الْحَدِيثِ الصَّـحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ - صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ - قَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُـجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوِّقُهُ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ يَعْنِي شِـدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ فَتَأْوِيلُهُ أَنَّ ذَلِكَ بَعْضُ مَالِهِ وَبَعْضُ كَنْزِهِ ، أَيْ فَهُوَ بَعْضُ الْكَنْزِ الْمَذْمُومِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَيْسَ كُلُّ كَنْزٍ مَذْمُومًا .**

وَشَذَّ أَبُو ذَرٍّ فَحَمَلَ الْآيَةَ عَلَى عُمُومِ الْكَانِزِينَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الْكَنْزِ ، وَعَلَى عُمُومِ الْإِنْفَاقِ ، وَحَمَلَ سَبِيلَ اللَّهِ عَلَى وُجُوهِ الْبِرِّ ، فَقَالَ بِتَحْرِيمِ كَنْزِ الْمَالِ ، وَكَأَنَّـهُ تَـأَوَّلَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا عَلَى مَعْنَى مَا يُسَــمَّى عَطْفُ التَّفْسِيرِ ، أَيْ عَلَى مَعْنَى الْعَطْفِ لِمُجَرَّدِ الْقَرْنِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ بِالشَّـامِ يَنْهَى النَّاسَ عَلَى الْكَنْزِ وَيَقُولُ : بَشِّــرِ الْكَانِزِينَ بِمَكَاوٍ مِنْ نَارٍ تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ ، وَهُوَ أَمِيرُ الشَّامِ ، فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ : إِنَّمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : نَزَلَتْ فِيهِمْ وَفِينَا ، وَاشْتَدَّ قَوْلُ أَبِي ذَرٍّ عَلَى النَّاسِ وَرَأَوْهُ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ [ص: 178] عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصَاحِبَيْهِ فَشَكَاهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَاسْتَجْلَبَهُ مِنَ الشَّـامِ وَخَشِـيَ أَبُو ذَرٍّ الْفِتْنَةَ فِي الْمَدِينَةِ فَاعْتَزَلَهَا وَسَكَنَ الرَّبْذَةَ وَثَبَتَ عَلَى رَأْيِهِ وَقَوْلِهِ .

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ : " فَبَشِّرْهُمْ " دَاخِلَةٌ عَلَى خَبَرِ الْمَوْصُولِ ، لِتَنْزِيلِ الْمَوْصُولِ مَنْزِلَةَ الشَّرْطِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى تَعْلِيلِ الصِّـلَةِ فِي الْخَبَرِ ، فَضَــمِيرُ الْجَمْعِ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ وَيَجُوزُ كَوْنُ الضَّــمِيرِ عَائِدًا إِلَى الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ . وَالْفَاءُ لِلْفَصِـيحَةِ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ آكِلِي الْأَمْوَالِ الصَّــادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَذَكَرَ الْكَانِزِينَ ، أَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يُنْذِرَ جَمِيعَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَدَلَّتِ الْفَاءُ عَلَى شَرْطٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ : إِذَا عَلِمْتَ أَحْوَالَهُمْ هَذِهِ فَبَشِّرْهُمْ وَالتَّبْشِيرُ مُسْتَعَارٌ لِلْوَعِيدِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّهَكُّمِ " ،

فلولا رحمة الله بالبهائم لمنعهم القطر ، لأنهم امتنعوا عن إخراج حق الله في أموالهم ، التي هي محض نعمة ومنة من الله جل وعلا!

ولو أطاع هؤلاء أوامر الله جل وعلا لرزقهم من فضله كما قال :

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّــمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ،" وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا " ،

ولكنه الطمع في حطام الدنيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الخصلة الرابعة :

" وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ "

وهو خيانة ورسوله في أوامره ، كنقض علماء السلاطين الميثاق المأخوذ عليهم من الله جل وعلا :

" لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " ، فخانوا هذا الميثاق ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، ولبسوا على الناس دينهم ، تزلفاً وتقرباً إلى الطواغيت ، لينالوا حظوة من دنياهم الفانية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

الخصلة الخامسة :

" وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُم "

قال الملك جل وعلا : **" وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ"** ،

وقال أيضاً : " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى :

" ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة:50]، وقوله تعالى: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا [النساء:65]**؛ فيجب على المسلمين أن يحكِّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم... " .

وقال أيضًا: " وولي الأمر إن عرف ما جاء به الكتاب والسنة؛ حكم بين الناس به، وإن لم يعرفه وأمكنه أن يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، حتى يعرف الحق؛ حكم به، وإن لم يمكنه لا هذا ولا هذا؛ ترك المسلمين على ما هم عليه، كل يعبد الله على حسب اجتهاده، وليس له أن يلزم أحدًا بقبول قول غيره، وإن كان حاكمًا.

وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا؛ فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما حكم قوم بغير ما أنزل الله؛ إلا وقع بأسهم بينهم)** "

قال الحافظ ابن كثير:

" من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين "

وبعد ذكر تحذيرات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما سبق ، فحدثني بإنصاف ، وقل لي بربك الذي خلق السموات والأرض ،

هل تجد ما حذر منه النبي ـ صـلـى الله عليه وسـلم ـ في دولـة الإسـلام ، دار الخلافة الباقية بإذن الله جل وعلا ؟

فلله درها من دولة للخلافة على منهاج النبوة ، كما هي بشرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛

فلقد أقامت الحدود ، فرجمت المحصن الزاني ، وجلدت الأيم الزاني ،

وأقامت ديواناً للحسبة ليراقب الأسواق ، والموازين والمكاييل ،

وكذلك جمعت أموال الزكاة من أغنياء المسلمين ، وردتها في فقرائهم ،

ووفت بعهود الله ومواثيقه ، وصدع العلماء فيها بكلمة الحق ، وأقامت الشريعة ،

وحكمت بين الناس بكتاب ربنا وسنة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛

فاللهم احفظها ، وأدم صـــرحها ، وافتح بجندها البلاد ، وافتح لهم قلوب العباد ، واكســر بســيوفهم قيود أسـرانا ، واهدم بمعاولهم وفؤوسـهم أسـوار الردة والفرقة ، وارزقنا العيش تحت ظلالها ، والجهاد تحت رايتها ، والشهادة مع جيشها ، واسق صرحها من دمائنا ، اللهم ولا تحرمنا بذنوبنا وتقصيرنا وتفريطنا!

مقال (11)

الفتن وأخبارها ، والتحذير منها (7)

الفاروق عمر - رضي الله عنه - ، قُفل الفتنة ، فإن مات كُسر القُفل !

عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

" أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ ، قَالَ : هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ ، قَالَ : لَيْسَتْ هَذِهِ وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا ،قَالَ : يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ ، قَالَ : لَا بَلْ يُكْسَرُ ، قَالَ : ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ ،

قُلْنَا : عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ ، قَالَ : نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ،

فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ : مَنْ الْبَابُ ، قَالَ : عُمَرُ " (رواه البخاري)

عن حذيفة - رضي الله عنه - قَالَ:

"كُنَّا عِندَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا . قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، وَكَيْفَ قَالَ ؟

قَالَ قُلْتُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ : ((فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))

فَقَالَ عُمَرُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ ، قَالَ فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا ، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ قُلْتُ : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ ، قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا.

قَالَ : فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ،

قالَ : فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مَنِ الْبَابُ ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ : سَلْهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: عُمَرُ . " (رواه مسلم)

قال ابن حجر - رحمه الله - :

" قَوْلُهُ : (**إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ ؟**) فِي رِوَايَةِ يَحْيَى الْقَطَّانِ عَنِ الْأَعْمَشِ فِي الصَّلَاةِ " كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ : أَيُّكُمْ " وَالْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ الصَّحَابَةُ ، فَفِي رِوَايَةِ رِبْعِيٍّ عَنْ حُذَيْفَةَ

" أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ فَقَالَ سَأَلَ عُمَرُ أَمْسِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَيُّكُمْ سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ ؟ قَالَ أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ " فِي رِوَايَةِ الْمُصَنِّفِ فِي الزَّكَاةِ " أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَهُ " .

قَوْلُهُ : **(قَالَ هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ)** فِي الزَّكَاةِ " إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ ، فَكَيْف " .

قَوْلُهُ : **(فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ)** زَادَ فِي الصَّلَاةِ " وَوَلَدِهِ " .

قَوْلُهُ : **(تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ)** زَادَ فِي الصَّلَاةِ **" وَالصَّوْمُ "** قَالَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَمَا مَعَهَا مُكَفِّرَةً لِلْمَذْكُورَاتِ كُلِّهَا لَا لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ بِأَنَّ الصَّلَاةَ مَثَلًا مُكَفِّرَةٌ لِلْفِتْنَةِ فِي الْأَهْلِ وَالصَّوْمِ فِي الْوَلَدِ إِلَخْ ،

وَالْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ مَا يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مَعَ مَنْ ذُكِرَ مِنَ الْبَشَرِ ؛ أَوْ الِالْتِهَاءُ بِهِمْ أَوْ أَنْ يَأْتِيَ لِأَجْلِهِمْ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَوْ يُخِلَّ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ .

وَاسْتَشْكَلَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ وُقُوعَ التَّكْفِيرِ بِالْمَذْكُورَاتِ لِلْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَالْإِخْلَالِ بِالْوَاجِبِ ؛ لِأَنَّ الطَّاعَاتِ لَا تُسْقِطُ ذَلِكَ ، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْوُقُوعِ فِي الْمَكْرُوهِ وَالْإِخْلَالِ بِالْمُسْتَحَبِّ لَمْ يُنَاسِبْ إِطْلَاقَ التَّكْفِيرِ ، وَالْجَوَابُ الْتِزَامُ الْأَوَّلِ وَأَنَّ الْمُمْتَنِعَ مِنْ تَكْفِيرِ الْحَرَامِ وَالْوَاجِبِ مَا كَانَ كَبِيرَةً فَهِيَ الَّتِي فِيهَا النِّزَاعُ ، وَأَمَّا الصَّغَائِرُ فَلَا نِزَاعَ أَنَّهَا تُكَفَّرُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : " إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ " الْآيَةَ ،

وَقَدْ مَضَى شَيْءٌ مِنَ الْبَحْثِ فِي هَذَا فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ . وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ : الْفِتْنَةُ بِالْأَهْلِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِنَّ أَوْ عَلَيْهِنَّ فِي الْقِسْمَةِ وَالْإِيثَارِ حَتَّى فِي أَوْلَادِهِنَّ ، وَمِنْ جِهَةِ التَّفْرِيطِ فِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهُنَّ ،

وَبِالْمَالِ يَقَعُ الِاشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْعِبَادَةِ أَوْ بِحَبْسِهِ عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللَّهِ ،

وَالْفِتْنَةُ بِالْأَوْلَادِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ إِلَى الْوَلَدِ وَإِيثَارِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَالْفِتْنَةُ بِالْجَارِ تَقَعُ بِالْحَسَدِ وَالْمُفَاخَرَةِ وَالْمُزَاحَمَةِ فِي الْحُقُوقِ وَإِهْمَالِ التَّعَاهُدِ ،

ثُمَّ قَالَ : وَأَسْبَابُ الْفِتْنَةِ بِمَنْ ذُكِرَ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ فِيمَا ذَكَرْتُ مِنَ الْأَمْثِلَةِ ، وَأَمَّا تَخْصِيصُ الصَّلَاةِ وَمَا ذُكِرَ مَعَهَا بِالتَّكْفِيرِ دُونَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَعْظِيمِ قَدْرِهَا لَا نَفْيَ أَنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ لَيْسَ فِيهَا صَلَاحِيَةُ التَّكْفِيرِ ،

ثُمَّ إِنَّ التَّكْفِيرَ الْمَذْكُورَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَقَعَ بِنَفْسِ فِعْلِ الْحَسَنَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَقَعَ بِالْمُوَازَنَةِ ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ : خُصَّ الرَّجُلُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ صَاحِبُ الْحُكْمِ فِي دَارِهِ وَأَهْلِهِ ، وَإِلَّا فَالنِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ فِي الْحُكْمِ .

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ التَّكْفِيرَ لَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَاتِ ، بَلْ نَبَّهَ بِهَا عَلَى مَا عَدَاهَا ، وَالضَّابِطُ أَنَّ كُلَّ مَا يَشْغَلُ صَاحِبَهُ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ فِتْنَةٌ لَهُ ، وَكَذَلِكَ الْمُكَفِّرَاتُ لَا تَخْتَصُّ بِمَا ذُكِرَ بَلْ نَبَّهَ بِهِ عَلَى مَا عَدَاهَا ، فَذَكَرَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَفْعَالِ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْمَالِ الصَّدَقَةَ ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْأَقْوَالِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ .

قَوْلُهُ : **(وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ)** أَيِ الْفِتْنَةَ ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي فِي الصَّلَاةِ ، وَالْفِتْنَةَ بِالنَّصْبِ بِتَقْدِيرِ فِعْلٍ أَيْ أُرِيدُ الْفِتْنَةَ ، وَيَحْتَمِلُ الرَّفْعَ أَيْ مُرَادِيَ الْفِتْنَةُ .

قَوْلُهُ : **(تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ)** أَيْ تَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْبَحْرِ عِنْدَ هَيَجَانِهِ ، وَكَنَّى بِذَلِكَ عَنْ شِدَّةِ الْمُخَاصَمَةِ وَكَثْرَةِ الْمُنَازَعَةِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُشَاتَمَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ .

قَوْلُهُ : **(يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا)** زَادَ فِي رِوَايَةِ رِبْعِيٍّ " تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى يَصِيرَ أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَاةِ لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَصِيرَ أَسْوَدَ كَالْكُوزِ مَنْكُوسًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ بَابًا مُغْلَقًا " .

قَوْلُهُ : **(إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا)** أَيْ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ فِي حَيَاتِكَ ،

قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ : آثَرَ حُذَيْفَةُ الْحِرْصَ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ وَلَمْ يُصَرِّحْ لِعُمَرَ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا كَنَّى عَنْهُ كِنَايَةً ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَأْذُونًا لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حُذَيْفَةُ عَلِمَ أَنَّ عُمَرَ يُقْتَلُ ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُخَاطِبَهُ بِالْقَتْلِ لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْبَابُ فَأَتَى بِعِبَارَةٍ يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ بِغَيْرِ تَصْرِيحٍ بِالْقَتْلِ انْتَهَى .

وَفِي لَفْظِ طَرِيقِ رِبْعِيٍّ مَا يُعَكِّرُ عَلَى ذَلِكَ عَلَى مَا سَأَذْكُرُهُ ، وَكَأَنَّهُ مَثَّلَ الْفِتَنَ بِدَارٍ ، وَمَثَّلَ حَيَاةَ عُمَرَ بِبَابٍ لَهَا مُغْلَقٌ ، وَمَثَّلَ مَوْتَهُ بِفَتْحِ ذَلِكَ الْبَابِ ، فَمَا دَامَتْ حَيَاةُ عُمَرَ مَوْجُودَةً فَهِيَ الْبَابُ الْمُغْلَقُ لَا يَخْرُجُ مِمَّا هُوَ دَاخِلُ تِلْكَ الدَّارِ شَيْءٌ ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدِ انْفَتَحَ ذَلِكَ الْبَابُ فَخَرَجَ مَا فِي تِلْكَ الدَّارِ .

قَوْلُهُ : **(قَالَ يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ قَالَ : لَا بَلْ يُكْسَرُ ، قَالَ : ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ)** زَادَ فِي الصِّيَامِ " ذَاكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا يُغْلَقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ،

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الْغَلْقَ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الصَّحِيحِ ، فَأَمَّا إِذَا انْكَسَرَ فَلَا يُتَصَوَّرُ غَلْقُهُ حَتَّى يُجْبَرَ انْتَهَى .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَنَّى عَنِ الْمَوْتِ بِالْفَتْحِ وَعَنِ الْقَتْلِ بِالْكَسْرِ وَلِهَذَا قَالَ فِي رِوَايَةِ رِبْعِيٍّ " **فَقَالَ عُمَرُ كَسْرًا لَا أَبَا لَكَ** " لَكِنْ بَقِيَّةُ رِوَايَةِ رِبْعِيٍّ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدَّمْتُهُ ، فَإِنَّ فِيهِ :

وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ ، أَوْ يَمُوتُ " وَإِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ فِي وُقُوعِ الْفِتَنِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَوُقُوعِ الْبَأْسِ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

وَسَيَأْتِي فِي الِاعْتِصَامِ حَدِيثُ جَابِرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ الْآيَةَ ، وَقَدْ وَافَقَ حُذَيْفَةُ عَلَى مَعْنَى رِوَايَتِهِ هَذِهِ أَبُو ذَرٍّ ، فَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَنَّهُ " **لَقِيَ عُمَرَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَغَمَزَهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : أَرْسِلْ يَدِي يَا قُفْلَ الْفِتْنَةِ** " الْحَدِيثَ .

وَفِيهِ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ " **لَا يُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ فِيكُمْ** " وَأَشَارَ إِلَى عُمَرَ . وَرَوَى الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ عَنْ أَخِيهِ عُثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ يَا غَلْقَ الْفِتْنَةِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ مَرَرْتُ وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : هَذَا غَلْقُ الْفِتْنَةِ ، لَا يَزَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ الْغَلْقِ مَا عَاشَ .

قَوْلُهُ : **(قُلْنَا عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ)** فِي رِوَايَةِ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ " **فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ** : سَلْهُ أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : نَعَمْ " وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وَكِيعٍ عَنِ الْأَعْمَشِ " فَقَالَ مَسْرُوقٌ لِحُذَيْفَةَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ " .

قَوْلُهُ : **(كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ)** أَيْ أَنَّ لَيْلَةَ غَدٍ أَقْرَبُ إِلَى الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ .

قَوْلُهُ : **(إِنِّي حَدَّثْتُهُ)** هُوَ بَقِيَّةُ كَلَامِ حُذَيْفَةَ ، وَالْأَغَالِيطُ جَمْعُ أُغْلُوطَةٍ وَهُوَ مَا يُغَالَطُ بِهِ ، أَيْ حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا صِدْقًا مُحَقَّقًا مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَنِ اجْتِهَادٍ وَلَا رَأْيٍ .

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : إِنَّمَا عَلِمَ عُمَرُ أَنَّهُ الْبَابُ لِأَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِرَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ ، فَقَالَ : اثْبُتْ ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ أَوْ فُهِمَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ حُذَيْفَةَ " بَلْ يُكْسَرُ " انْتَهَى .

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ عُمَرَ عَلِمَ الْبَابَ بِالنَّصِّ كَمَا قَدَّمْتُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَأَبِي ذَرٍّ ، فَلَعَلَّ حُذَيْفَةَ حَضَرَ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ حَدِيثُ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ ، وَسَيَأْتِي فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ " **أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ** " وَفِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ مَعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مَاتُوا قَبْلَهُ ،

فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ عُمَرُ عَارِفًا بِذَلِكَ فَلِمَ شَكَّ فِيهِ حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ مِثْلُهُ عِنْدَ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، أَوْ لَعَلَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ نَسِيَ فَسَأَلَ مَنْ يُذَكِّرُهُ ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ .

قَوْلُهُ : (**فَهِبْنَا**) بِكَسْرِ الْهَاءِ أَيْ خِفْنَا ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى حُسْنِ تَأَدُّبِهِمْ مَعَ كِبَارِهِمْ .

قَوْلُهُ : (**وَأَمَرْنَا مَسْـرُوقًا**) هُوَ ابْنُ الْأَجْدَعِ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ ، وَكَانَ مِنْ أَخِصَّــاءِ أَصْـحَابِ ابْنِ مَسْـعُودٍ وَحُذَيْفَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ .

قَوْلُهُ : (**فَسَـأَلَهُ فَقَالَ : مَنِ الْبَابُ ؟ قَالَ : عُمَرُ**) قَالَ الْكِرْمَانِيُّ : تَقَدَّمَ قَوْلُهُ " إِنَّ بَيْنَ الْفِتْنَةِ وَبَيْنَ عُمَرَ بَابًا " فَكَيْفَ يُفَسَّـــرُ الْبَابُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ عُمَرُ ؟! وَالْجَوَابُ أَنَّ فِي الْأَوَّلِ تَجَوُّزًا وَالْمُرَادُ بَيْنَ الْفِتْنَةِ وَبَيْنَ حَيَاةِ عُمَرَ ، أَوْ بَيْنَ نَفْسِ عُمَرَ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَدَنُهُ ; لِأَنَّ الْبَدَنَ غَيْرُ النَّفْسِ." (فتح الباري شرح صحيح البخاري) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

قلت :

في الحديث كثيرة جداً ، يضيق بنا المقام عن حصرها ؛ ولكن سنعرض لما يتسع له مقامنا ؛

الفائدة الأولى : ذِكْرُ النبي - صـلى الله عليه وسـلم - للصـلاة خاصـة عن غيرها من باقي الطاعات ، إشـارة إلى عظم شـأنها عند الله عز وجل ؛ وكيف لا ؟ ،وهي الركن الثاني من أركان الإسـلام ، فهي الطاعة التي لم يعذر الله جل وعلا فيها عبداً من عباده ،

فالمريض أُمر بالصـلاة ، ولو كان على فراشـه نائماً ، والمسافر أُمر بالصـلاة بالرغم من مشقة السفر ، وكذلك المجاهد في سـبيل الله ، وبارقة السـيوف تُحيطه من كل مكان ، أُمر بها على هيئة وصـفة مخصوصة محلها كُتب الفقه ؛

ومن تأمل تأكيد الله جل وعلا على وجوب إقامة الصـلاة ، وكذلك على لسـان نبيه - صـلى الله عليه وسلم - ، يعلم عظمها وقدرها عند الملك جل وعلا ،

قال الله جل وعلا : **" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ "** ،

عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ :سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :

" إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّـرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّـلَاةِ " (رواه مسـلم) ، فتأمل النصوص الواردة في وجوب إقامتها ، تعرف عِظمها !

الفائدة الثانية : تحذير النبي - صـلى الله عليه وسـلم - من فتن تموج كموج البحر ، إشـارة إلى عظمها ، فهي شديدة الاضطراب ، متلاطمة ، يلطم بعضـها بعضـا ؛ فالمتأمل لحال موج البحر يجدها متلاطمة ، متصـارعة ، فتاكة ، مدمرة ، لذلك شـبه النبي - صـلى الله عليه وسـلم - الفتن بموج البحر ، لتصـوير شدتها وخطورتها ، فاللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن!

الفائدة الثالثة : عمر - رضــي الله عنه - قُفل الفتنة ، فمتى مات كُسـر هذا الباب ، فلله در الفاروق - رضــي الله عنه - ، فهو دعوة النبي - صــلى عليه وســلم - : عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ **" اللَّهُمَّ أَيِّدِ**

الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ " وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : **" اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ " (رواه الترمذي)** ، وكان أحبهما عمر ـ رضي الله عنه ـ ،

وكذا استجاب الله دعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخاصة لعمر ؛ وذلك يدل على عظم شأن الفاروق الملهم عند الله جل وعلا ، ومما يُدمي القلب أنه قُتل بمكيدة مجوسية ، وبموته كُسر قُفل الفتنة ، وفُتح باب الفتنة على مصراعيه ، فقتل زوج ابنتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، وظهرت الفُرقة في الأمة ، وماجت الفتن بالمسلمين ، ومازالت إلى يومنا هذا ، ولن تزال كذلك إلى قيام الساعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

مقال (12)

أحوال القلوب مع الفتن

عن حُذَيْفَةُ - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ :
" تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ " (رواه مسلم)

ارْبَدَّ وجههُ : أي : تغير إلى الغُبرة .

وقيل : **الرُّبْدَة** : لون بين السواد والغُبْرة .

قال ابن القيم رحمه الله :

" فشبه عرض الفتن على القلوب شيئا فشيئا

كعرض عيدان الحصير، وهي طاقاتها شيئا فشيئا ،

وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين :

1- قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها ، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود و ينتكس، وهو معنى قوله" كالكوز مجيماً " أي مكبوباً منكوساً، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك :

أحدهما:

اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا ،ولا ينكر منكرا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة ، و الحق باطلا و الباطل حقاً.

الثاني:

تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانقياده للهوى واتباعه له.

2- وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان ، وأزهر فيه مصباحه ، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها و ردها ، فازداد نوره وإشراقه وقوته. والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات و فتن الشبهات ، فإن الغي و الضلال ، فتن المعاصي و البدع، فتن الظلم و الجهل ؛ فالأولى توجب فساد القصد و الإرادة،

و الثانية توجب فساد العلم و الاعتقاد " (إغاثة اللهفان) لابن القيم [48:47]

قلت :

ولا يزال قلب المؤمن ، يتألم بهذه النكتات ، مادام حياً بطاعة الله !

فبادر بالتوبة ، فرب ذنب أورث نكتة ، كان بها موت قلبك ، فلا تدري هل يهبك الله قلباً غيره ؟!

مقال (13)

الفِتنُ تُذْهبُ العُقُول

عَنْ زَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ حُذَيْفَةُ :

" إِنَّ لِلْفِتْنَةِ وَقَفَاتٍ وَبَعَثَاتٍ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَمُوتَ فِي وَقَفَاتِهَا ؛ فَافْعَلْ " ، وَقَالَ : " مَا الْخَمْرُ صَرْفًا بِأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الْفِتَنِ ! "

وعنه أيضاً ، قَالَ : قَالَ حُذَيْفَةُ : **" إِنَّ لِلْفِتْنَةِ وَقَفَاتٍ وَبَعَثَاتٍ ، فَإِنَ اسْتَطَعْت أَنْ تَمُوتَ فِي وَقَفَاتِهَا فَافْعَلْ " أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (10/15) بإسناد صحيح .**

وعنه أيضاً ، قَالَ : قِيلَ لِحُذَيْفَةَ : مَا وَقَفَاتُ الْفِتْنَةِ ، وَمَا بَعَثَاتُهَا ، قَالَ :

" بَعَثَاتُهَا سَلُّ السَّيْفِ ، وَوَقَفَاتُهَا إِغْمَادُهُ " أخرجه أيضاً (19/15) بإسناد حسن.

ومن ذا الذي يصبر على الفتن ، ولطمها للعقول قبل الوجوه ؟!

من ذا الذي يصبر على ما استعاذ منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأمرنا بالاستعاذة منه ؟!

من ذا الذي يصبر على ما تطيش له العقول ؟! ، إلا من اعتصم بالله ، وسأله الثبات في الفتن المدلهمات !

أما قول حذيفة رضي الله عنه : **" بَعَثَاتُهَا سَلُّ السَّيْفِ ، وَوَقَفَاتُهَا إِغْمَادُهُ "** ، ليس المقصود منه ترك الجهاد ، وإغماد سيوف الحق ، وأن الجهاد فتنة ، وأن القتال شر ، كما صور ذلك مشايخ السلاطين وكهنة الطواغيت ، لا والذي فرض على هذه الأمة الجهاد :

" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " ؛

بل الصحيح من قول الصحابة وأئمة الدين ، أن المقصود بسل السيف هو مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، وهذا ثابت بروايات مفصلة ، سنفردها بحديث مفصل في حينه من تسلسل هذ الأبواب ؛

فيا لله من جرم مشايخ السلاطين ، وكهنة الطواغيت ، وعبثهم بنصوص الدين ، لأجل تخدير المسلمين ، وإبعادهم عن صراط الله المستقيم وحبله المتين ، خدمة للصليبيين ، وحفظاً لعروش الطواغيت والكافرين والمرتدين ؛ الخونة ما تركوا نصاً إلا وحاولوا التسلسل خلاله لمحو فريضة الجهاد في سبيل ، وتمكين شرع رب العالمين ؛ ولكن هيهات هيهات أن يصلوا إلى ما يؤملون ويرجون !

مقال (14)

الفتن تُميتُ القلوب ، كما تموت الأبدان

بسند حسن ، عن الحسن ، قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

" أخاف عليكم فتناً كأنها الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه " (الفتن) نعيم بن حماد [111]

وبسند حسن ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال :

" هذه فتن قد أطلت كقطع الليل المظلم ، كلما ذهب منها رَسَلٌ جاء رَسَلٌ ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه " (الفتن) نعيم بن حماد [115]

وبسند حسن ، عن الحسن ، أن الضحاك بن قيس ، كتب إلى قيس بن الهيثم ، حين مات يزيد بن معاوية : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

" إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع فيها أقوام أخلاقهم ، ودينهم بعرض من الدنيا " (المعجم الكبير للطبراني) [7/346]

وليس أدل على موت القلوب في أزمنة الفتن ، من مثل حال مشايخ السلاطين وكهنة الطواغيت ، فهؤلاء آتاهم الله علماً ، فجعلوه حرباً على الدين والموحدين وجند الله المجاهدين ، تزلفاً لنيل حظوة عند الطواغيت والكافرين والمرتدين ؛

وهؤلاء تأسوا ببلعام ابن باعوراء الذي آتاه الله اسمه الأعظم ، فكان منه الكفر والانسلاخ من آيات الله ونعمه :

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

وهؤلاء صاروا على نهجه حذو القُذة بالقُذةِ ؛ بل منهم من فاق كُفره كفر بلعام ، ولربما كان إبليس اللعين به من المقتدين ؛

يقول ابن القيم في وصف حال كهنة الطواغيت ونعال السلاطين من الصدع بالحق :

" وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرى محارمَ الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك ، وسنّة رسول الله يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللّسان شيطانٌ أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق؟!

وهل بليّةُ الدين إلاّ من هؤلاء الذين إذا سَـلِمتْ لهم مآكلُهم ورياسـاتُهم فلا مبالاة بما جرى على الدّين؟! ..." (إعلام الموقعين) لابن القيم.

وهل أعظم من جُرمهم في سكوتهم عن استباحة أعراض أخواتنا العفيفات في سجون الطواغيت ، حتى خرج علينا نعل السلاطين الغدار ، وقال : " لو تكلمت لأوجعت " ؛ تباً لك من مجرم خائن لله ورسوله ؛

وغيرهم ممن سمعوا بخبر إجبار الموحدات في بلد من بُلدان أفريقيا بجماع الكلاب ، تحت وطأة سلاح قوات حفظ السلام الكافرة ؛

ثم يخرج هؤلاء الكلاب علينا ، يصرخون داعش خوارج - أخرج الله أمعاءكم - ؛

بل هي دولة خلافة ، أقامت شرع الله ، ونصرت الدين ، ونصرت الضعيف ، وكسرت قيود الأسرى ، وثأرت الموحدين ، وانتقمت لأعراض المسلمات ، والقادم أدهى وأمر عليكم ، ستشيب له رؤوسكم ، ثم والذي رفع السماء بغير عمد ؛ لتكونن رقابكم أول من يُتقرب به إلى الله جل وعلا ، صبراً صبراً ، إنكم ترونه بعيداً ونراه قريباً ؛

من يتساءل كيف للشيخ فلان أن يقول عن جند الخلافة خوارج ، أقول له :

لا تعول عليهم ، هؤلاء باعوا دينهم وأخلاقهم بعرض من الدنيا الفانية ، فلا تنشغل بهم ، عرفت السبيل فالزم ؛

ولا تنتظر منهم نُصرة دين ، أو نُصرة للمجاهدين ، فالقصور والسيارات وأرصدة البنوك في خطر ، والجهاد من أجل الحفاظ عليها من أوجب الواجبات عند مشـايخ السـلاطين ، وكهنة الطواغيت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !